خصائص الشعر العربي الحديث

بقلم : نعمات احمد فؤاد

١

وهل تبلورت تلك الخصائص حتى استطيع تسجيلها ؟ ان الذي يكتب عن العصر الاموي مثلاً او العصر العباسي تسعفه مراجع كملت وعوامل اكتملت وظروف تمت ... تسعفه دراسات تمهيدية وآراء مرشدة .

ولكن الشعر الحديث ... شعرنا في سائر البلاد العربية لم يقطع شوطه ولم يتم تمامه، والعوامل التي تكتنفه كثيرة ذات شعب وبعضها لا يوفيه حقه الا الذين يعيشون فيها ويتأثرون بها .

من اين ابدأ ؟ ان للشعر العربي الحديث سمات كثيرة بعضها عام وبعضها خاص ، والبعض يتصل بالاسلوب والبعض بالموضوع ، سمات للشعر وسمات للشاعر ... ان الموضوع يبدو لعيني زاخراً بالعناصر ، غنياً بالمواد ، على مثال من العصر الذي يعيش فيه الشعر الحديث والذي شعب مهمته ، وعدل مقاييسه ، وغير طابعه ، وصحح له القيم والمفاهيم .

دعني ابدأ بالسمات العامة لشعرنا الحديث ... ان من الظاهرات الجديدة **تبلور شخصية الشاعر الحديث** الذي فطن الى مكانه الصحيح من الموكب الانساني، فهو لم يعد مزهواً بالغناء والحداء والاطراء والهجاء بل رام منزلة أكرم حين اضطلع بتوجيه الجموع الهادرة بشعره التقدمي ... اصبح قوة دافعة وقدرة لاهبة ، وطاقة معينة تحفز وتثير ...

الشاعر الحديث يحيا في دنيا تموج بالحركة والالوان والاحداث وهو فيها سائر متطلع متفتح ملهوف الرغبة ، عريض الآمال ، نهم الاحساس، ظمآن النظر ، طامح الروح ، حار الاشواق ...

والحياة بدورها تعكس على هذا السائر المشوق صورها على اختلافها فيعكسها في شعره مستغنياً بما فيها من صدق الواقع وحرارة الصدق ونبض الحياة عن المارضات الشعرية ، صناعة الاسترخاء والتقليد الذي لا حس فيه يدفع ويلون ..

وحين اسقط الشاعر الحديث من حسابه مدح الآخرين وذمهم ، ثاب الى نفسه يستقريها ويتحسس مشاعرها ويستكنه اسرارها ١ .

٢

زهد الشعر الحديث في الفخر الشخصي حين استيقظ فيه الشعور الوطني **والاحساس بالشعبية** ... ادرك الشاعر الان رسالته .. لم يعد من تحف العصور أو أبواق السادة بل ارتفع الى مقام القيادة والتوجيه. واصبحنا نرى شباب الشعراء خاصة يصرون على السير في المقدمة لأن « رسالتهم لا يمكن ان تنفصل عن الشعب الذي خرجوا من اعماقه فالكاتب او المفكر او الفنان أول من يحس بما تعانيه الملايين وما تأمله وما تكافح وتضحي بدمائها من أجله ... وهم يدركون في عمق الوعي الذي استيقظ في ضمير شعوبنا ان التخلي عن رسالة التعبير عن الشعب وآلامه وآماله معناه الخيانة... الخيانة الواضحة للشعب وللفن وللفكر وللعدالة وللحرية ولكل القيم الانسانية التي هي اساس حياتنا »١

اصبح الشاعر يتلهب بالظلم الاجتماعي يرهق شعبه فتجيش شاعريته بأبيات من هذا الطراز :

ايها المغمض المعذب بالليـ ـل تطلع لنور فجر جديد
انا اشقى وانت تشقى وهذا ما حفظناه من تراث الجدود
غير اني آليت ابذل روحي كي ينال الحياة بعدي وليدي
يا رفيقي ونحن جرحان كبيرا ن يسيلان من دم وصديد
يا رفيقي ونحن روحان ابيّا ن يضجان في حديد القيود
يا رفيقي انا وانت وعمي وابن عمي جماعة من عبيد
انا ابكي وانت تبكي ولكن لن يفل الحديد غير الحديد ٢

٣

والشعر الحديث كالفن الحديث **تلفه حيرة وقلق وشك وعذاب** من عمق شعور صاحبه بمرارة الواقع حوله، تلك المرارة التي يزيدها اظلاماً شعوره من ناحية اخرى بتفوقه لهبة الفن ، وتفتحه من ذكاء الفطرة ، ووعيه من نضج معاني الوطنية والحرية والعدالة في فكره وضميره. وقد صور هذا الصراع النفسي للفنان رساماً وشاعراً كمال عبد الحليم في قصيدته (اخوة الفن)

اخوة الفن اضاءت روحهم كلهيب اشعلته الظلمات
رفع الرسام فيهم كأسه وهو للجبهة رغم الدهر رافع
قال في همس رفيق دامع هل سأمضي في حياتي غير قانع
انا احيا بين شك ومنى وظلام الشك اودى بالمطامع
املأ اللوحة شكاً وهدى وسكونا فيه اعصار الزوابع
وجسوماً شوهتها قسوة من زمان في فنون البطش بارع
ووجوهاً قد علتها صفرة وعيوناً صارخات بالمواجع
وسجوناً قيدت افكارنا وقيوداً اوثقتنا وموانع
وقلوباً مزقت تنزو دماً وتبدت مثل اشلاء المواقع
ونفوساً مدلجات تبتغي رؤية الله وهل للشك رادع
لوحة الدهر التي توحي لنا كلها اطياف شك وفجائع ٣

فينتفض الشاعر وهو يجاوبه :

يا رفيقي ارانا لا نرى فدموع العين فوق العين ساتر
ان نكن نبكي بدمع من دم لسوانا وسوانا غير شاعر
فغداً نغلي ويغلي غيرنا وتميد الارض من هول المشاعر
يا رفيقي ارانا طوفت روحنا الافاق تطواف المغامر
فرأينا الحسن قصراً جاحداً ابدعت ما فيه - ديدان المغاور
وهي تسعى في ظلام دامس يعتريها اليأس والشك المساور

---

١ اقرأ قصيدة (السماء) ديوان (الجداول) ص ٧٦ - ٧٧ للشاعر ايليا أبو ماضي

١ من مقدمة ديوان (اصرار) للشاعر المصري كمال عبد الحليم

٢ ديوان (اصرار) للشاعر كمال عبد الحليم قصيدة (الفجر الجديد) ص ٩ . ومن شعراء الشعبية الجهيرين الشاعر الفيتوري

٣ ديوان (اصرار) للشاعر كمال عبد الحليم ص ١١ و١٢

٤٢

ورأينا النور تخفيه يد والملايين تواريها المغاور
والملايين عرايا كلما هاجتها الريح دوت في الحناجر
صرخات الجوع والعري اذا حملتها الريح هزت كل ثائر ١

اذن لقد مشى الفن في ركب الشعب الهادر المائج ورفع له الشعلة على الطريق...

اصبح الفن يتفزز ويتقزز معاً من الطراوة والرخاوة ويعدها تيهاً مضللاً في هبة شعوبنا الجامحة في سبيل حياة أسعد ، حياة أكرم ، حياة أعز مما نحن فيه ...

اصبح شاعر الشعبية يصرخ من ثورته في وجه الشاعر التائه :

انت تخلو الى النجوم الى الزهـ ـر الى الطير حينما يتغنى
ربة الخمر باركتك فغنيـ ـت هراء ورحت تسأل دنا
في سماء الخيال ضم جناحيـ ـك تقع بيننا فتصبح منا
دع جمال الخيال وادخل كهوفاً للملايين وارو للكون عنا
انما الفن دمعة ولهيب ليس هذا الخيال والتيه فنا

إنما الفن لهيب ... هذا هو مفهومه في ظروف العرب الحاضرة على الاقل ... ان الانسان ابن عصره والشاعر اعمق بذلك العصر حساً وامس قرباً ...

وقد تيقظت الوطنية في الشعر العربي الحديث حتى اصبح الشعراء على اختلاف نوازعهم يحسون ان من واجبهم تسجيل اهتزازات نفوسنا في الاحداث الوطنية فتسابقوا الى هذه الغاية حتى أصحاب الطبيعة الغزلية ... ولعل هذا يعود فيما يعود اليه من اسبابه الى احساسنا بوطأة الاستعمار وجهادنا في سبيل الاستقلال ، وتشوفنا الظامىء اللهفان الى الخلاص ... يعزز هذا روح العصر التي تقوّم شخصية الفرد ، وتؤمن بكرامة المواطن الذي يختار الحاكم يرفعه او يطيح به ان اساء ، فانصرف الشعراء عن « الاشخاص » الى المعاني الكبيرة الجامعة المشتركة ، وانصرف القارئون عن شعر المديح ... لقد اصبحنا نمقت هذا اللون في الشعر العربي مهما كانت دوافعه فنحن الشبيبة العربية نتعالى بالفنان والانسان في الشاعر ونراه اولى بالذكر والابتغاء ، ونتعالى بالفن في الشعر ان يرتخص في غير موضوع او يراق في غير موضوع ، ومن هنا لا نعترف بمدائح (هكذا اغني) ٢ و (اضواء ورسوم) ٣ او (ديوان عزيز) ٤ او تهنئات (قلوب تغني) ٥ .:.

والوطنية في الشعر الحديث معنى صريح ليس منه المراسيم . وشعراء الوطنية اليوم لا يبالون دفع ثمنها وكثيراً ما دفعوه ... فلم تخفت لهم جلجلة ، ولم ينقطع لهم دوى ... وفي مصر على سبيل المثال كان يقعقع من وراء القضبان هذا الشعر :

هنا ثورة في القلوب هنا الانفجار
هنا صرخات ودمع ودم ونار
اخي من وراء الحديد تنادي ضلوعي
انا لا ابالي – انا قد مسحت دموعي

١ ديوان (اصرار) للشاعر كمال عبد الحليم ص ١٥
٢ ديوان (هكذا اغني) للشاعر محمود حسن اسماعيل .
٣ ديوان (اضواء ورسوم) للشاعر عبد السلام رستم .
٤ ديوان عزيز للشاعر عزيز فهمي .
٥ ديوان (قلوب تغني) للشاعر خالد الجرنوسي .

اخي لا تبالِ اذا فرقتنا السدود
فها قريب سأحطمها وأعود ١

تحد رهيب حقير من وراء القضبان التي احسبها على صلابة الحديد تميد من المارد المحبوس المتحفز خلفها يتطاير منه الشرر .

من هذا كله علا بمصر الطوفان سنة ١٩٥٢ ...

الوطنية ٢ في الشعر الحديث وطنية صاعدة شامخة لا تذرف الدموع وتتمنى ، ولكنها تدفع في ظهر الجموع الراكضة وتلهب سعيها الى الهدف الخطير الكبير ...

ان حادثة دنشواي لا شك انها جرحت قلب الشاعر المصري حافظ ابراهيم شاعر الوطنية المصرية في مطلع القرن العشرين.. ولكنه وسط دموعه لم يقل للباغين اكثر من :

احسنوا القتل ان ضننتم بعفو انفوساً اصبتم ام جمادا

والتفت الى من مالأهم وقال :

انت جلادنا فلا تنس انا قد لبسنا على يديك الحدادا ٣

مسكين عقلت الرهبة لسانه وجنانه ولفه الذهول المصري العام في ذلك الوقت، ولكن الرعيل الثاني لم يعد يحتمل من الذل ما دون دنشواي بكثير.. ان مجرد السجن لا الشنق ولا الاعدام ، السجن مجرداً يرفع صوته بمثل هذا الشعر .

نحن لن يرهبنا السجن ولن نلقي السلاح
دولة الظلم ستنهار وتذروها الرياح
فنباح الظالم المسعور اصداء النواح
ولنا النصر وللنصر مساء او صباح
حينما نقذف للسجن باعداء الكفاح ٤

ومن مفاخر شعرنا الوطني الحديث :

إذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر
ومن يتهيب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفره

ومن شعراء الوطنية الشاعر رشيد سليم الخوري رغم طابعه القديم، وفي قصيدته (صيحة للجهاد) صدق وشخصية (٦) . وفي ديوانه «الاعاصير»

١ ديوان (اصرار) للشاعر كمال عبد الحليم قصيدة (نشيد السجون) ص ٥٤ – ٥٥
٢ يرى الاستاذ عمر الدسوقي « ان الشعر الوطني حل محل الشعر الحماسي » كتابه (في الادب الحديث) الجزء الثاني ص ٢٣٦
٣ يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه (دراسات في الشعر المعاصر) ... « ان حافظاً لم يكن بركاناً ثائراً ثورة عظمى على المحتل وما يذيق بلاده من الوان الحسف بل كانت ثورته هادئة، ان صح ان تكون هناك ثورات هادئة ، او قل انها ثورة متقطعة فهو يثور من حين الى حين ويضل سبيله في ثورته كثيراً ، بل قل انه ينسى ثورته ، حتى لنراه يمدح الانكليز حين توج ملكهم ادوارد السابع سنة ١٩٠٢ ،وهو يغلو في مديحه! وكأن ليس بيننا وبينهم ثارات وترات . » ص ٥ .
٤ ديوان (اصرار) قصيدة (نحن في السجن) ص ٥١
٥ من شعر ابي القاسم الشابي (كتاب مذاهب الادب) للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٦١
٦ ديوان (الاعاصير) للشاعر القروي ص ٩٤

٤٣

دعوة الى العروبة جامعة :

نحن والاسلام في الاضحى سواء ... قد تقاسمنا الضحايا بالسويه
عدلوا المعنى قليلاً يلتئم ... شملنا تحت لواء العربيه ١

وشعراء الشعبية هؤلاء تضج الحياة في كيانهم وتزلزل ومن ثم تنبض كل كلمة منهم وتتوثب حتى لتخالها تطفر فتضيق عنها الاوزان ... حتى الهوى عندهم لا يسلم من التوقد المشبوب من القوة ... من الجبروت ... قد يرق معمودهم ولكنه لا يتمرغ ولا يتهاوى بل يقول في تلطف القوة ، لا ذل الضعف :

حين اصغي اليك اصغي لصوت ... من كياني يهزني من كياني
حين اصغي اليك يهتف قلبي ... وهو نشوان - هذه الحاني
ان شعري قبسته منك لا اد ... ري لماذا يفيض عبر لساني
انت لحني فكيف احرم لحني ... كيف احيا في عالم الحرمان
ذلك الحب ضج من وحشة السجـ ... ـن اما من هوى بلا جدران
روعة الحب ان يطير جناحا ... ه وان يهبطا بكل مكان ٢

فورة ... انطلاق ... التياح ... اجتياح ... ماذا ؟.. لست ادري.

٤

ويتصل بسمة (الشعبية) في الشعر الحديث، **سمة الوطنية** ، واعني هنا الوطنية الجادة العاملة لا الوطنية التقليدية ... ان الشعر العربي في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين يضم شعراً وطنياً، ولكنه في مجموعه شعر الوطني الذي يرى المعركة دائرة فيحس بطبيعته مع قومه فيها ويسجل بحكم وضعه هذا الاحساس و ... لكن ظاهرة « الوطنية » في الشعر الحديث في عيني واعتقادي من اعز الظاهرات الجديدة واكرمها علينا. لان شعرها يمور ويندلع فيؤجج قارئيه ... ومن شعر النار هذا :

من الكهف والخيمة الباليه ... سأجمع للثأر اشلائيه
سأجمع أهلي وأصحابيه ... وأصرخ من عمق اعماقيه
وارسلها صيحة داويه ... وادعو الى الجولة الثانيه ١

أوقن انك تؤمن معي أن هذا ليس نظماً وليس قصيداً بالمعنى الرتيب المعروف، ولكنه انفاس حارة لافحة، وقلوب لا تقعد بها عن الدوي الجراح..

كل كلمة لديها طاقة جبارة من الاثارة والايحاء والمعاني المتقابلة على قلة في الحروف .. فالكهف يذكرني بالبيت الكريم، والخيمة البالية تذكرني بالعز السليب ، وجمع الاشلاء يصرخ في ان انتقم بروحي للكرائم المبعثرة التي أجمعها من الخلاء ، انتقم لرصيدي الانساني - وفيه عزائي وهنائي - الذي استخلصه من التراب بعد أن فقد قيمته ... ان الاشلاء التي أجمعها تلسع يدي وقلبي فتزلزل كياني المحموم صرخة الشاعر المدوية، فاهب موتوراً محتدما متسعراً أسبق الى... الجولة الثانية.

« الجولة الثانية »! ان التعبير هنا ينكأ في نفسي كل جراح الجولة الاولى!

من الكهف والخيمة الباليه ... سأجمع للثأر اشلائيه
سأجمع اهلي واصحابيه ... واصرخ من عمق اعماقيه
وارسلها صيحة داويه ... وادعو الى الجولة الثانيه

كلنا للجولة الثانية ... كلنا للجولة الثانية ...

هذي الخيام .. الا ترى ؟ ضاقت بمن فيها الخيام
لا ... لا يروعك السقام فلن يحطمها السقام
كلا ولا هذا الشقاء اذا تفشى والحمام
لا لن يضير عقيدة من اجلها صلوا وصاموا
بشرى فلسطين الحبيبة يوم ينتفض الحطام

١ ديوان (الاعاصير) للشاعر القروي ص ٣٠
٤ ديوان (اصرار) لكمال عبد الحليم ص ٢٢ - ٢٣

١ ديوان (مع الغرباء) للشاعر هارون هاشم رشيد .

منجد الطلاب

معجم مدرسي

عن منجد لويس معلوف

نظر فيه ووقف على طبعه واخراجه

فؤاد افرام البستاني

يباع في جميع المكاتب

٤٤

سنثيرهـــا شعواء تلتهم اليهود ومـــا اقاموا١
اني ارتجف ... الويل لليهود ... الويل ... الويل ...

٥

ومن السمات الجديدة في الشعر الحديث **« وحدة الموضوع »** فلم يعد البيت هو وحدة القصيدة بل اصبح الشاعر الحديث يؤمن بمذهب علم النفس الذي يرى (ان القصيدة تتألف من وثبات لا من ابيات) ... ٢ بل تجـاوزت الوحدة القصيدة الى الديوان فبدت في الشعر الحديث **« الوحدة الديوانية »** واصبح عندنا ديوان كامل في موضوع بعينه مثل (من وحي المرأة) لعبد الرحمن صدقي و (سعاد) للشاعر زكي قنصل ، و (انات حائرة) للشاعر عزيز اباظة، يتناول كل منها موضوعاً واحداً... ولكن هذه الظاهرة تحمل بدورها ظاهرة اخرى ... فالدواوين الثلاثة نشيج، فهل الحزن اقوى العواطف طراً حتى استطاع ان يفجر هذه العيون؟ وقد يقول قائل ان الحب اقوى من الالم ومامن ديوان يخلو من الغزل على تفاوت في المقدار...ولكني ارى عاطفة الحب تظاهرها دوافع وعوامل ومشاعر شتى بعضها الالم نفسه، ألم الهجر ... وألم الفراق العـارض ... والحب نفسه لا يمد الفن الا اذا انصهر في الفداء والتضحية والولاء المجرد ...

اذن هو الالم بالوانه الذي يستجيش النفوس ويجلو جوهرها ...

اين ابتسامتك الندية تملأ العش ابتسـاما
وتشيع في ما حولها ارجا كانفاس الخزامى
اين احتجابك يستثير الضحك في بابا وماما
ينساب دمدمة وينزل في فؤادينا سـلاما
لم تلفظي حرفاً ولكن كنت افصحنا كلاماً٣

هذه القطرة من ذلك النبع اصفى واكرم جوهراً من دموع الفرح... ان الفرح يزيد العمر طولاً ، ولكن الالم يفسح في عرضه مدى واسعاً... ولكننا نؤثر الدموع الاخرى...دموع السعادة فليستأثر الفن وحده بالدموع الصافية فانه يزهر بها لا يذوى مثلنا...

٦

ومن الظاهرات الجديدة في الشعر الحديث **محـاولة تحرره من سلطان القافية الموحدة** فعندنا لمة من الشعراء يلوذون بالقافية المزدوجة حينا وبالمقطعات آناً . او الموجات ٤ كما يحلو للاستاذ عبد المجيد عابدين ان يسميها ٥ .. وتارة بالشعر المرسل ، وآونة بالشعر الحر الذي لا يتقيـد بقافية ولا بحر ...

وقد تغلغلت هذه الظاهرة حتى عمت (الرثاء) ٦ الذي تكفي طبيعته الزاخرة بالمشاعر العميقة – اذا صدق – ان ترسل من القلب على لسان الشاعر القصيدة كلها من بحر واحد وقافية واحدة في مثل تحدر الدمع من العين الواحدة ... ولكن الشعر الحديث يأبى الا ان يخلع طابعه على كل غرض شعري .

ومن تنوع الشعر المعاصر بين مقفى ومرسل وحر ومنثور **تنوع النغم في الشعر الحديث بين ارتفاع وانخفاض ، وخروج على الرتابة التقليدية في موسيقى الشعر العربي القديم** . والامثلة مبثوثة في دواوينا الحديثة في سائر بلادالعربية..واتجاوز في هذا الموضوع عن الاستشهاد لحاجته الى كثير .

والشعراء المحدثون مولعون باللعب بالتفاعيل حين لا يزال بيننامن يطيل القصيد١ من طول النفس او تشبثاً بالكلاسيكية الشعرية ...

ويتصل بظاهرة التحرر من القافية ظاهرة اخرى **هي وثبـة الخيال في الشعر الحديث وثبة واسعة** ... اقرأ مملكة السماء ٢ ، وهي من الشعر المنثور مما اعان صاحبتها ...

وليس التحرر من القافية في كل مواضعه دليل ضعف ، ولكنه كثيراً ما يكون عن ايمان بالرحابة والتطلق في التعبير ، عن اعتقاد ان القافية اداة معوقة لحبستها وتضييقها على الشاعر ومعانيه ..

يحس هذا احساساً عميقاً الشباب ممن ثقفوا ثقافات جامعة منوعة واعجبوا بامثال شكسبير وورد زورث وبروننج من اصحاب الشعر المرسل ...

وهؤلاء الذين استقوا من ادبين او اكثر اذا توفرت المـادة الفنية لديهم وتكاثرت المعاني في نفوسهم وتفتقت صدموا بالقافية تعترض انسيابهم ، فيكسرون حاجزها المعوق ويخرجون عليها ليتحدروا كما يشاءون.

واني اومن ان الجيل القادم والذي يليه سيؤثرون الشعر المرسـل والشعر المنثور فليس على الشاعر ولا في استطاعته ان يحبس نفسه طويلاً يتصيد القوافي ويسلسلها ... حسبه ان يؤدي معانيه وخيالاته واشراقاته في شفافية ونور وموسيقى ... اي موسيقى تبلغ من القـلوب مواطن الحب والتقدير ... ولا ينقص الشعر المرسل والشعر المنثور الحرارة والتأثير والرنين ...

عذبة انت ، كالطفولة ، كالاحـ ـلام كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمـ ـراء كالورد ، كابتسام الوليد
يا لهـا من وداعة وجمـال وشبـاب ، منعم امـلود
يا لها من طهارة تبعث التقـ ـديس في مهجة الشقي العنيد
انت روح الربيع تختال في الد نيا فتهتز رائعـات الورود
وتهب الحياة سكرى من العطـ ـر ويدوي الوجود بالتغريد
يا ابنة النور انني انا وحدي من رأى فيك روعة المعبود
فدعيني اعيش في ظلك العذ ب وفي قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال والفن والآلـ ـهام والطهر والسنا والسجود
وامنحيني السلام والفرح الرو حي يا ضوء فجري المنشـود٣

١ ديوان (مع الغرباء) للشاعر هارون هاشم رشيد ص ٣٢
٢ اقرأ كتاب (الاسس النفسية للابداع الفني) للاستاذ مصطفى سويف ص ٢٧٢ .
٣ ديوان (سعاد) للشاعر زكي قنصل ص ١٧
٤ امثلتها في الدواوين : (الحرية) ليوسف الخال ، (الاعاصير) للشاعر القروي ، (ازهـار الذكرى) للسحرتي، و(القفص المهجور) ليوسف غصوب، وفي الشعر النسائي عامة وبعض هذه الدواوين يضم قصائد من الشعر الحر والشعر المرسل
٥ كتاب (التيجاني) شاعر الجمال ص ٥٥
٦ ديوان (اضواء ورسوم) للشاعر عبد السلام رستم ، قصيـدة (الطائر المفقود) ص ٤٠

١ من هؤلاء الشاعر القروي ومحمود حسن اسماعيل واحمد فتحي وعزيز فهمي
٢ ديوان (الاغنية الخالدة) للشاعرة صفية زكي ابو شادي ص ٣٣–٤٢
٣ من شعر ابي القاسم الشابي نقلا عن كتاب (مذاهب الادب) للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٥٠ – ١٥١ .

٤٥

انها ظاهرة من ظاهرات الشعر الحديث... **الصوفية في الغزل ...**

هذه اللغة المجنحة المخملية بعد ان تسامى الغزل العربي عن الحسيات . الا تتجاوز هذه القطعة حدود التقدير المحلي الى اعجاب العالم الشاعر خارج حدودنا ؟

لم يعد هم الشاعر الحديث الردف والعطف بل حانت منه التفاتة الى الصوت والحنان والهدوء والرقة الحالمة :

ولك الصوت ناغم ! عاده الشو ... ق فاضحى حنينه يترسل
نبرات كأنها شجن الاو ... تار في عود عاشق مترحل
او حفيف الاذان في مسمع الفجـ ... ـر ندي الصوت شذي المنهل
او غناء الظلال في خاطر الغد ... ران شعر في الصمت عان مكبل
او نشيد اذابه الافق النا ... ئي ، وغناه خاطري المتأمل
ولك الهدأة التي تغمر الحـ ... ـس فيروى من السكون ويثمل ١

وعروس الشعر الحديث لا ينادي الشاعر فيها الانثى ولكنه يغني لها الهوى الرفيع ليس منه وساوس الدم او هواجس الجسم ... انه يصوغه من وادي الاحلام حيث يتراءى كل جميل آسر شاعري ... فالنبع والايك والظلال والطيوف والرحمة والنسائم والجداول والاطيار مادة غنائه واصوات لحنه ...

انت نبعي وايكتي وظلالي ... وخميلي وجدولي المتسلسل
انت ترنيمة الهدوء بشعري ... وانا الشاعر الحزين المبلبل
انت كاسي وكرمتي ومدامي ... والطلا من يديك سكر محلل
انت طيف الغيوب رفرف بالرحـ ... ـمة والطهر والهدى والتبتل

١ ديوان (هكذا اغني) للشاعر محمود حسن اسماعيل .

دراسات شعرية ونقد

محاولات في فهم الادب	**للطفي حيدر**
الفصول الاربعة	**لعمر فاخوري**
الشعراء الفرسان	**لبطرس البستاني**
الياس ابو شبكة	**لنخبة من الادباء**
نقد الشعر في الادب العربي	**لنسيب عازار**

من منشورات دار المكشوف

انت لي رحمة براها شعاع ... هل من اعين الما وتنزل
انت شعر الانسام وسوست الفجـ ... ـر وذابت على حفيف السنبل
انت صحر الغروب بل موجة الاشـ ... ـراق عن سحرها جناني يسأل
انت صفو الظلال تسبح في النو ... ر وتلهو على ضفاف الجدول
انت عيد الاطيار فوق الروابي ... اقبلي فالربيع للطير اقبل ١

وقد اصبح للغزل موضوعات منها «الانتظار »٢ على ان الصوفية التي يرفرف حولها الشابي والتيجاني لا تروق شاعراً كالياس ابو شبكة الذي يأخذ على المتسامين نزعتهم متهافتاً بقوله « ... وكثيراً ما كان الشاعر يتغنى بحبيبته فتغلب الصوفية في اناشيده ... كأنه يعشق برأسه لا بقلبه » ٣.

اذن لم يسل الشعر الحديث الشعرَ الحسي بل لج فيه احياناً الى حد الغرام ... اقرأ « افاعي الفردوس » لالياس ابو شبكة تر كيف تحتدم الشهوة وتعلو لها سورة ... كيف لا تغفو في موضع من الديوان الا لتصحو من جديد ..، ان كل ما فيه احمر حتى الصلاة ٤ .

٨

ومن الظاهرات الجديدة في الشعر الحديث شيوع **السخرية ...**

سخرية تتمثل في ديوان (الامواج) للصافي النجفي أو في قصيدة (التمثال) لايليا ابو ماضي ٥ او قصيدته (الطين) ٦ او قصيدة (انا والبعوض) للنجفي ٧ .

ولعل مبعث السخرية في الشعر الحديث ما يسري في نفس صاحبه من قلق ، وما يساوره من شك ، ويرهقه من ظمأ ، ويفضه من جدب ... جدب مادي كالذي يشكوه الصافي والديب، وجدب معنوي كالذي يشكوه شباب الشعراء من عصرهم ومجتمعهم ... فقد دفعهم لجب الحياة وحيرة النفس في زحمتها التي تطغى عليها المادة بثقلها وجفافها الى التساؤل ما قيمة السعي؟ ما قيمة الصراع ؟ ما قيمة الحياة نفسها ؟ ما كنهها ؟ ما غايتها ؟ ما سرها... الا تلمح لهفة كمال نشأت في قوله :

انا سألت مفازة الزمن المخلد من انا؟
من اين جئت وما المصير أللخلود ام الفنا
ومن الذي القى بروحي في متاهات الضنى
فاجابني صوت خفيض ... رن في نفسي صداه
ما انت الا بذرة ... نبتت بصحراء الحياه
لو كنت تعرف سرها ... لعرفت اسرار الاله
فسألت نفسي ما الحياة وما الممات وما الخلود
فأجابني صوت خفيض : انت اسرار الوجود

١ ديوان (هكذا اغني) للشاعر محمود حسن اسماعيل وقد نهج هذا النهج في ديوانه الآخر (ابن المفر) ص ١١٨ – ١٢٠ و ص ١٣٣ .
٢ ديوان (القفص المهجور) للشاعر يوسف غصوب ص٣٩–٤٤
٣ كتاب (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة) لالياس ابو شبكة .
٤ قصيدة (الصلاة الحمراء) ص ٥٠ – ٥٥ من ديوان افاعي الفردوس .
٥ ديوان (الجداول) لايليا ابو ماضي ص ٧٠ – ٧١
٦ ديوان (الجداول) لايليا ابو ماضي ص ٧١ – ٧٥
٧ ديوان (التيار) لاحمد الصافي النجفي ص ١٠٧

٤٦

السر في جنبيك تحجبه المطـــامع والقيود١

ويتردد هذا التساول في ديوان « وحدي مع الايام » ٢

اقرأ « الاوتار المتقطعة » لرياض معلوف تر اليأس يبدأ من العنوان ليشيع في الديوان كله . وديوان « افاعي الفردوس » الذي مر بنـا فيه للشقاء ثورات وللشك شطحات ...

ويتصل بظاهرة السخرية والشك شيوع **السؤال الحائر** : مـا الانسان ؟ ما كنهه ؟ ما سر وجوده ؟ هذا السؤال الذي اصبح وحـده ظاهرة في الشعر الحديث يستهل به ايليا ابو ماضي ديوانه « الجـداول » ويجعل منه ملحمة يسلسل فيها الاسئلة في سخرية ومرارة عن جدوى الاشياء الكبيرة والمعاني الموروثة فهو يسائل البحر والدير والقبر والقصر والكوخ والفكر ويتساءل عن مصائر الحياة والاحياء ...

٩

ومن الظاهرات الجديدة في الشعر الحديث **روح العطف على الخاطئات** .. فالشاعر محمود حسن اسماعيل يعتذر للبغي بالجوع ٣ ... وقسوة المجتمع ٤ ... وشاعر البراري يرثي للقيطة٥ ... وصاحب ديوان « نشيد الخلود » يهب البغي قلبه ٦ وفؤاد بليبل في قصيدته النابضة [ثائرة] بديوانه «أغاريد الربيع».

وان كان الدكتور طه حسين في «حديث الاربعاء» يرى ان ما شاع في شعرنا الحديث من لفتات حانية رائية لاولئك التعيسات ان هو الا تقليد لروح العطف عليهن هذه الروح التي سرت في الادب الغربي في القرن التاسع عشر.

١٠

ومن الظاهرات الجديدة في الشعر الحديث **الرمزية** التي خلا الادب القديم منها بمفهومها الحديث ٧ .

ومن شعراء الرمزية في مصر الصيرفي وابو شادي ، وفي سوريا نزار قباني ، وفي لبنان صلاح الاسير وسعيد عقل وسليم حيدر ، وفي المهجر ايليا ابو ماضي.

والشعر الرمزي يثير بيننا خلافات واسعة شأن كل جديد طاريء فبينما يرده الزيات مشفقا لانه في عينه مخلوق مشكل اعجم لا تتبناه العربية بنت الشمس المشرقة والافق الصحو والصحراء الغاربة والبداوة الصريحة ... ٨ اذ بالاستاذ السحرتي يرى «ان هذا النوع من الشعر ينفث في الجو الادبي، انسانا عذبة جديدة ، ويزجي الى النفس والذهن غذاء لا عهد لهما به » ٩ بـل يتجاوز الناقد التزكية الى الدعوة الى تقبل كل مذهب جديد قائلا « واذا خيفت البلبلة من مسايرة مذهب ادبي جريء فهذه البلبلة اذا حدثت فـلن تطول ، وهي عندي خير من الاخلاد الى الجحود، والقناعة بماورثه السلف من قرون وقرون » ١ .

ويعزو الاستاذ الياس ابو شبكة ظهور الرمزية في الشعر الى قصيدة « اديب مظهر » الرمزية « النسيم الاسود » اذ يرى انه في سنة ١٩٢٣ تفشى هذا الوباء في الناشئة فاتجهت من الشعر الروحاني الصوفي الى الشعر الرمزي كما فهمته او بالاحرى الى الجانب المريض من هذا الادب ٢

والشعر الرمزي فيه الغموض والذاتية اذ تستر معانيه وكثيراً ما تخفى ومن مظاهر الرمزية تلك الصور التي تصاحب القصائد في دواوين الرمزيين.

١١

ومن النزعات الجديدة في الشعر الحديث **«السريالية»** ومن شعرائها كامل امين ، وجورج حنين ، وكامل زهيري وفؤاد كامل ... وهي نزعة فوضوية مضللة انساق اصحابها فيها تقليداً للغرب فتخبطوا ٣

١٢

ومن الظاهرات الواضحة في الشعر الحديث **غزو العامية الشعبية له**

– البقية في الصفحة ٩٧ –

١ كتاب (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) للاستاذ السحرتي ص ١٤٠ .

٢ كتاب (روابط الفكر والروح) للاستاذ الياس ابو شبكة ص ١٣١ – ١٣٢ .

٣ راجع كتاب (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) للاستاذ السحرتي .

١ كمال نشأت في ديوان رياح وشموع ص ٦٢

٢ قصيدة خريف ومساء ص ١٥ .

٣ ديوان (هكذا اغني) قصيدة (هكذا قالت البغي) ص ٢٢٠ – ٢٢٢ .

٤ ديوان (اغاني الكوخ) قصيدة (دمعة بغي) ص ٦٧ – ٧١

٥ ديوان (نجوم ورجوم) للشاعر محمد السيد علي شحـاته ص ١١٢ – ١١٣ .

٦ ديوان (نشيد الخلود) للشاعر كامل امين.

٧ يقول الاستاذ انطون غطاس كرم في كتابه (الرمزية والادب العربي الحديث) « ان العرب ماديون واقعيون في جـاهليتهم واسلامهم وان ادبهم اميل الى الوضوح والواقع منه الى الغموض والتجريد» ص ١١١

٨ كتاب (دفاع عن البلاغة) للاستاذ احمد حسن الزيات.

٩ كتاب «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» للاستاذ السحرتي ص ١٣٩

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

معرض دائم لأحدث الكتب العربية في الطابق الاسفل

الكتـــاب انفس هدية تقدمها لصديقك في العيد

خصائص الشعر العربي الحديث

— تتمه المنشور على الصفحة ٤٧ —

على يد حسين شفيق المصري وبيرم التونسي ١ واغاني رامي .

١٣

ومن الظاهرات الواضحة ايضاً **تميز (الزوجة)** في الشعر فقد كان اختفاؤها من شعرنا يثير دهشة الغرب ونقده تماماً كاختفائها القديم من مجتمعنا ... وكنا في مقام دحض التهمة ، ودحض الفرية نستشهد بابيات البارودي الحزينة :

لالوعتي تدع الفؤاد ولا يدي ... تقوى على رد الحبيب الغادي

فاذا اردنا التكثر لتأييد موقفنا تلمسنا بارقة اعزاز في شعرنا القديم فتشبثنا بقول الشاعر :

بينا نحث بالبلاكث فالقاع ... والعيس تهوى هويا

إذاخطرت ذكراك على القلب ... وهنا فما استطعت مضيا

دعاني لك الشوق فقلت ... لبيك وللحاديين حثا المطيا

ولكن هذه اللفتة الحانة التي يبلغ من رقتها ان يعودها الشوق في هدأة الليل فيستبد بها حنين لاعج لا تطيق معه الانتظار ولو الى مطلع الصبح فتصرخ في الحاديين « حثا المطيا » .. هذه اللفتة ومضة فحسب .. ومضة تبدو لتختفي ... ثم جاء الشعر الحديث فعوض هذا كله حين احتفل بالزوجة العربية شريكة حياة وعدل نفس وهوى فكر ورضى روح لا انثى وكفى ... وكان ان ظهر في الشعر الحديث ديوانان كاملان عن (الزوجة) الغائبة لا قصيدة واحدة ترثيها في تحرج كالتي استهلها جرير بهذا البيت :

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

دع « جريراً » يتعثر من الحياء واكبر معي زوجاً مفزع الحس مستطار القلب ، تكاد تعصف به اوهام طاغية ، وخيالات ساخرة ورؤى مجنونة فيشبه له وما يلبث ان يصرخ هاتفاً :

لقد عادت ، اجل عادت وربي ... صديقي زوجتي وكمال حي

لقد عادت، وجمع الصحب عندي ... فلت لهمسها ، ونسيت صحبي

وناجتني ، وناجتني طويلاً ... كصوب المزن عاد يبل جدبي

قدمت اليك في حدب وشوق ... مثار متيم بهواك صب

وما عتمت ان ادركت وهمي ... فزاغت نظرتي في كل درب

وادركني حياء من خيالي ... فعدت اغر بالاعذار صحبي ٣

لقد وصلت (الزوجة) العربية ... انها كما يقول الاستاذ العقاد « لم تعد قينة مملوكة او ربة بيت او شهوة » ٤ ولكنها خير محبوب وخير رفيق وهيكل تفكير وقدس عبادة وكنز حقوق ... وقد عمق حسنا بهذه المعاني كلها حتى ليضج الفاقد لها بالوحدة والعدم ، ويمضي مذعوراً يصرخ في الناطق والجامد يسائله شارداً ملهوفاً مشتتاً :

طريقي الى بيتي؟ نعمت طريقي ... الى خير محبوب وحير رفيق

طريقي الى دنيا غرام ونشوة ... وفردوس ارض ناضر وانيق

وهيكل تفكيري وقدس عبادتي ... وآية توفيقي وكنز حقوقي

تقلبت في عيني كريماً معبساً ... وكنت تلقاني بوجه طليق

شجيراتك اللفاء تقمى كأنها ... افاع على اذنابها بمضيق

تهارك مغبر ، وشمسك سمجة ... كأن شروقاً فيك غير شروق

وجوك خناق اجاهد ثقله ... بانفاس مضغوط الضلوع خنيق

كذا انت مذجازت سراتك في الضحى جنازة روحي ، زوجتي وصديقي

طريقي وما زلت الطريق وانما ... الى وحدتي من بعدها وحريقي

الى البيت مبناه واما صميمه ... فكالقبر مكشوفاً وغير سحيق

قطعت فاوصل شائقاً بمشوق ... والا فتعساً لي وتعس طريقي ١

قد يقال ان لحرقة الفراق وبرودة الوحدة دخلا في هذا ولكني حين اجفف دمعي تتضح لي رؤية ابيات اخرى مولعة في اكبار مشيد ، على الوجدان والوصل .. فها هوذا شاعر يحتفل بعودته اليومية الى عشه ... لم يبل فرحته تكرار تلك العودة او قصر الغياب بين الذهاب والاياب ... احتشد معي لنقرأ قصيدة « عودة » للشاعر كمال نشأت :

بيتي اذا عدت ارى ما به ... يهش بالايناس والبهجة

ارى حياتي فيه قد لونت ... اصباغها من قلب محبوبتي

فكفها قد طرزت عيشتي ... بالحب . والفرحة والنعمة

لا تطعم الراحة ان اخرت ... شواغلي العود الى شقتي

تجلس في الردهة مشغولة ... لهيفة ... تنسج بالابرة

تنسج لي هذا الصدار الذي ... تذيب فيه اقداس الحنة

وعينها في ساعة علقت ... لتسأل الساعة عن اوبتي

وسمعها للباب ... ان غردت ... اصابعي ... طارت الى قبلتي

فتضحك الجدران حتى اذا ... اقفلت ابوابي على جنتي

جلست احكي كل ما سرني ... وساءني منتفض النشوة

وزوجتي تنصت في غبطة ... قريرة ... هانئة النظرة ٢

١٤

ومن الظاهرات العزيزة في الشعر الحديث ظهور **« الشاعرات »** بيننا ... فلم نعد محتاجين الى قرون طويلة لنظفر بشاعرة، فان في جيلنا وحده « نازك الملائكة » و « صفية ابو شادي » و « جليلة رضا » و « فدوى طوقان » وسواهن غير قليل ...

لم يعد الاستعداد للشعر نادراً .. وانه بين النساء اندر ... كما يقول الاستاذ العقاد وان كنت اخشى ما بعدها كقوله عن الانوثة انها (من حيث هي انوثة – ليست معبرة عن عواطفها ولا هي غلابة تستولي على الشخصية الاخرى التي تقابلها ، بل هي ادنى الى كتمان العاطفة او اخفائها، وادنى الى تسليم وجودها لمن يستولي عليه من زوج او حبيب ، ومتى فقدت «الشخصية» صدق التعبير وصدق الرغبة في التوسع والامتداد واشتمال الكائنات كلها فالذي يبقى لها من عظمة قليل ...

ولا ينفي قولنا هذا ان الانثى قد تعبر عن الحزن لان الحزن لا يناقض استعداد الشخصية للتسليم والاستناد الى غيرها ولهذا كانت الشاعرة الكبرى

١ اقرأ « ابو نواس الجديد » لحسين شفيق المصري و « ديوان بيرم »

٢ ديوان (من وحي المرأة) للشاعر عبد الرحمن صدقي ، (انات حائرة) للشاعر عزيز أباظة .

٣ ديوان (من وحي المرأة) لعبد الرحمن صدقي ص ١٨٦

٤ العقاد في تقديم ديوان (من وحي المرأة) للشاعر عبد الرحمن صدقي

١ ديوان (من وحي المرأة) للشاعر عبد الرحمن صدقي قصيدة (طريقي) ص ٢٩

٢ قصيدة (عودة) للشاعر كمال نشأت. مجلة «الآداب» العدد التاسع – السنة الثانية سبتمبر ١٩٥٤

التي نبغت في العربية باكية رائية وهي الخنساء . »١

انا لا اعترف بهذا كله..اذ يشوبه شعور الرجل التقليدي بتفوقه ورغبته الملحة في تأصيل هذا المعنى في النفوس ... ولكنني ايضاً لا استطيع انكار هذا القول جملة وتفصيلاً لبعض الحق فيه ... فالذي الاحظه بالاستقراء ان الشعر النسائي او اغلبه مندى بالدموع ، وهو يجنح دائماً الى الرمز للتعبير عن عواطفه من حياء او استحياء وهما سمتان واضحتان في ادب الشاعرات.

لعل المرأة بالفطرة التي تهدي الى الاسلحة الظافرة تؤمن ايماناً مقتنعاً بسحر الدموع .. ومنطق الدموع ولغة الدموع .. المرأة بعامة حتى قاسيات القلوب .. فاذا كانت سليلة حواء مرهفة الحس شاعرة،فافسح،المجال للعين ... ولا تضيع هذه القطرات الصافية (اللحن الباكي) و (وحدي مع الايام) و (عاشقة الليل) و (شظايا ورماد) .

ان المرأة يتلخص تاريخها في قلبها :.. به ترى وتسمع وتحكم على الاشياء والناس ، تستأديه هذا كله فوق مهمة الخفق والشعور ... وهي تفرح وتضيء ما ظل هذا القلب نائلاً سعيداً ، فاذا مسه طائف من حزن أو ألم به عارض من الم ملأت – على قوة احتالها – الدنيا نواحاً وزفرات محرقة ... ثم تسترسل تروي الارض دموعاً وترويها شعراً..من استمرائها للشكوى، وارتياحها الى البكاء .. ومن هنا لمع في شعرها الدموع وجاد منه المراثي والاناشيد ...

ولكن لماذا لا تستنبت المرأة هذا الدفق من الشعور جنات يانعات من التغني بالطبيعة والجمال ومجالي الحياة الضاحكة؟ وانا هنا اعني المرأة العربية ، فالغربية ترد في الفن مناهل شتى ، اما العربية فقد الفت منذ عهد الحريم ان تجتر ذكرياتها وإشجانها وتسترسل في الاحزان ..

هل تصدق ان شاعرة كنازك الملائكة يعدها النقد (في طليعة بنات جنسها الشاعرات ذوات الدواوين – في هذا الوقت ان لم تكن اولاهن)٢ تستنفد طاقتها الشعرية في البكاء ؟ دائماً تشكو الظمأ والفراغ وسراب الاحلام...٣هل تصدق ان شاعرة كهذه تستسلم لاحزانها فلا تنعم بمسرات الحياة وحتى في ذكرى مولدها تنوح:

جئت يا ذكريات شاحبة الوجه حيارى في موكب الايام
جئتني والشباب باك بعيني وحولي جنازة الاحلام
رغباتي دفنتها في ثرى الماضي وقلبي ما عاد غير حطام
ودموعي رمز لما لقيته الروح في غيهب الوجود الدامي٤

العناوين ... العناوين تنبيك عن حزن مرير عميق ؛ وقلق مروع ! فذكريات ممحوة – الحياة المحترقة – على حافة الهوة – الغروب – السفينة التائهة – قلب ميت – شجون – شوق – شقاء – حزن – نار – ظلمات – شظايا – اباديد احلام – الظلال السود – الاعاصير !! لا تخلو قصيدة من هذه الكلمات او بعضها حتى قصيدة (صوت الامل)٥

ولا نعلم مأساة في حياتها ترسل كل هذه الدموع ... ولا احسب الا انه حب ضائع لم يقوّم، ترك جرحاً غائراً في قلب الشاعرة ذات العاطفة المشبوبة الجارفة ، والشوق المحموم اللهفان . اقرأ معي :

قلبي الحر الذي لم يفهموه سوف يلقى في اغانيه العزاء
لا يظنوا انهم قد سحقوه فهو ما زال جمالاً ونقاء
سوف تمضي في التسابيح سنوه وهم في الشر فجراً ، ومساء
في حضيض من اذاهم الفوه مظلم. لا حسن فيه لا ضياء١

محاولة متسامية للتعويض تليق بها .. ولكنها بين جنبيها مرجل يغلي .. وحسرة تتلظى .. بين جنبيها قلق يستعر .. وعذاب عاصف .. وهي ترمز الى ذلك الحب الوئيد الذي ما كادت تتهلل له حتى عاودها الظمأ والحرمان والتشوف الملتاح .. ترمز اليه حين تخاطب الشمس :

سأحطم الصنم الذي شيدته لك ! من هواي لكل ضوء ساطع
وادير عيني عن سناك مشيحة ما انت الا طيف ضوء خادع !
وأصوغ من احلام قلبي جنة تغني حياتي عن سناك اللامع
نحن الخياليين ... في ارواحنا سر الالوهة ... والخلود الضائع٢

لقد جهرت المسكينة بما تكن ولا تدري ... الم اقل لك ان في حياتها ضياعاً وخداعاً وفقداً ؟... ولكنها تتجلد رغم الصراع ..

هذه نازك ... وتشبهها في البكاء الشاعرة جليلة رضا . اما فدوى طوقان فعلى غنائها بالطبيعة احياناً نجد في ديوانها النفيس « وحدي مع الايام » سوداوية٣ ولدها في نفسها حزنها على اخيها وفيه ذكر دائم للموت ٤ . وهي في حيرتها تلمح الخيام.٥

اما سمة « الرمز» في الشعر النسائي فواضحة ملموسة ولعل اكثرهن رمزا السيدة جليلة رضا التي تهم بان تبوح فتتردد ثم يتسرب بيانها في طريق اخرى تبدو لها مأمونة مؤثرة الرمز على الاقتحام ... وهي في تحايلها تذكرني بعائشة التيمورية التي كانت تتغزل بلسان الرجل هروباً من الحرج٦

وهي في لحنها الباكي قلما بدت لنا سافرة ... لقد افضت الينا ببعض خواطرها المحتجبة في قصائدها : (شرع الحياة ٦٦ – ٦٩) و (ذات ليلة ٧٢ – ٧٣) و(امنية ٧٤–٧٦) و(الحب الخاطف ٩١)و(الزيارة الرهيبة ٩٤ – ٩٧) ولكن الديوان في جملته يلفه غموض رهيب حافل بالاسرار المستمرة .

اما فدوى فهي اكثر صراحة واكثر بثا،وشجاعتها تستعلن في قصائدها: (غب الهوى)، (الى صورة)، و (الصدى الباكي) ، و (في محراب الاشواق)٧

١ ديوان (عاشقة الليل)لنازك الملائكة ص ١٩
٢ ديوان (عاشقة الليل) قصيدة (ثورة على الشمس) ص ٢٢
٣ ديوان (وحدي مع الايام) لفدوى طوقان قصيدة (خريف ومساء)ص ١٢–١٦
٤ ديوان (وحدي مع الايام) لفدوى طوقان قصيدة (اوهام في الزيتون) ص٢٤
٥ اقرأ قصيدة اوهام في الزيتون ص ٢٦ – ٢٥
٦ اقرأ «حلية الطراز »للسيدة عائشة التيمورية
٧ ديوان (وحدي مع الايام) ص ٥٨ – ١٦ ٦٢ –٦٥
٦٦ – ٦٨ ١٠ ٧١ – ٧٣

١ الاستاذ العقاد في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم) ص ١٥١
٢ كتاب (مجددون ومجترون) للاستاذ مارون عبود ص١٩٧
٣ ديوان (شظايا ورماد) لنازك الملائكة قصيدة (وجوه ومرايا) ص ١٤٢
٤ ديوان (عاشقة الليل) لنازك الملائكة ص ١١
٥ ديوان (عاشقة الليل) لنازك الملائكة ص ١١٢

٩٨

قلب الشاعر

هيء له اهزوجـــة الملهم ... وامسح ملالاضج في الأعظم
وانسج له من بسمات السنا ... فجراً على افق الأسى المعتم
واترع الكوب الذي يشتكي ... صمت الفراغ العابس الابكم
كم ليلة رفّت بـه أنجم ... وذُوبت فيـــه ولم يفعم
وكم روى اسطورة صاغها ... من الحباب الأنور الاقتم
يا خالق الفن الذي أمرعت ... رؤاه في قلب الحياة الظمي
أفعمت للســـارين آمالهم ... بخضرة الصبر ... ولم تحجم
وسرت في دربـك تقتاته ... شوكا وترويه بحُر الدم
على الصخور السود آثاره ... وفي سفوح الجبـل المعدم
خلفت فيه من كفاح مضى ... على ذراه ... غابة الانجم
حصدتها فجر اخصيب الخطى ... ينبت فينا بهجـــة الموسم
ولم يزل قلبك في جدبـه ... على فراغ موحش يرتمي
منقباً عن فجره ... كلما ... تضـــاحك النور ولم ينعم
يحلم لهّـــاف المنى في غد ... حلم العطور الغيد في البرعم

كمال نشأت

من « رابطة النهر الخالد »
القاهرة

والرمزية في ديوان (وحدي مع الايام) تبدو في حديث الشاعرة مع الفراشة١ ... كما المح الرمزية في اوصافها التي تنعت بها الاشياء؛ فالفراشة عروس الربيع وشجرة الزيتون عروس الجبل ... وفي الديوان اشواق مجنحة . واحلام عذارى. ورغبات مكبوته توشى بها الالفاظ والصفات٢ .. وفي الديوان ظمأ وتشوف والتياح الى .. الى شيء ..

وفي الديوان هفهفة الى (قلب) يؤنس رحلة الزورق ويبدد غيهب الليل٣ ... وفي الديوان خوف من الخريف ... خريف العمر الذي يودي بربيع الشباب قبل ان ينعم بظل القلب وهناءة الحب ودفء العش٤ .

ولكن الشاعرة في النصف الثاني من الديوان باحت بالسر وصرحت بما يحرقها ويمزق كتيانها المضرم المشبوب ..

اني اعتز بهذا الديوان شعر انثى ، ارى فيه نفسي في بعض اطوارها بهواجسها واشواقها ورؤاها ... اري فيه المرأة بحنينها وخوفها ورقتها وضعفها وتضرمها وهواجسها ووساوسها... ارى فيه المرأة بالفاظها وذوقها الموشى الذي يشغف بالنمنمة والتطريز سواء لديهـــا ان تصنع ثوباً او تنظم قصيدة ... الطابع هو الطابع ... وهنا تتجلى اصالة الشاعرة التي اعتز بهـــا .

وقد حققت فدوى املي في شعر الطبيعة توقعه امرأة على قيثارة صيغت من حنان الانوثة وتوددها ... ففي ديوانها شاعرية وافتتـــان بالطبيعة واتحاد بها وروح مجنحة تتفتح لكل شيء لان كل شيء يستهويها -في الديوان اشواق هائمة سابحة في الكون الوسيع. فيه لهفة حارة الى الطبيعة الام تهتف:

اواه ، لو افنى هنا في السفح ، في السفح المديد
في العشب ، في تلك الصخور البيض في الشفق البعيد
في كوكب الراعي يشع هنـاك ، في القمر الوحيد
اواه ، لو افنى ، كما اشتاق في كل الوجود١

وهكذا تتوثب في ديوانها خفيفة متطلقة تهيم في المروج وتطفر مـــع الفراشة وتحنو عليها وتناجيها .

اما شاعرتنا ... صفية زكي ابو شادي .. فهي تفضي بعواطفها افضاء متباطئاً من استحياء وانت تدور معها طويلاً حتى تسمع كلمة « الحب » ولا مزيد ٢... فاذا تتبعتها لفت عواطفها في قصة او رمز٣ وانتقلت بك الى معنويات منها الصبر والالم والفراق وامنية لقاء ولكنهـــا لا تتطوح وراء خلجاتها الى ابعد من هذا ٤

وفي الشعر النسائي تصوف يذكرني بعضه بصاحبة الحبين٩ واعني هنـا قصيدة (سو) لفدوى. ٦

ولكن الشعر النسائي ينقصه الاحساس الكامل بالمجتمع وبالوطن ايضاً... انه في جملته شعر ذاتي ... وان كانت صفة (الذاتية) هذه يشمل بها ناقد كالاستاذ اسماعيل احمد ادهم الادباء العربية على السواء التي ينقصهـــا في

١ ديوان (وحدي مع الايام) قصيدة (مع المروج)ص٩-١١
٢ ديوان (الاغنية الخالدة) قصيدة السر ص٧٦ - ٧٩
٣ ديوان (الاغنية الخالدة) قصيدة الشبح ٨٠ - ٨١ وقصيـــدة الاصداف ٨٤-٨٦
٤ ديوان (الاغنية الخالدة) قصيدة في عينيك الدموع ص١٠٦
٥ رابعة العدوية القائلة :
احبك حبين حب الهوى ... وحب لانك اهـل لذاكا
٦ ديوان وحدي مع الايام قصيدة سو ص ٦٩ - ٧٠

١ ١٨ - ١٩ ٢ قصيدة اوهام في الزيتون ٢١ - ٢٥
٣ قصيدة ليل وقلب ص ٣٥ ٤ قصيدة ليل وقلب ص ٣٧

٩٩

نظره (الطاقة على التجرد من الشخصية وجعل الظواهر الموضوعية في طبيعتها الموضوعية .)١

وما دمنا بصدد الحديث عن الشعر النسائي فلنسجل قبل ان ينتقل البحث الى ظاهرة اخرى ان الشاعرات يؤثرن القافية المزدوجة والمقطعات ، كما تحب نازك الملائكة التلاعب بتفاعيل الخليل كما تسميها ٢ من حيث العدد والترتيب.

كما تؤثر صفية ابو شادي الشعر المنثور تودعه تأملاتها وتصوفاتها ورمزياتها...

وعند الشاعرات ايضاً شعر حر ٣ ولا ينقصهن الخيال الخصب خاصة صفية وفدوي كما تتمتع نازك بطول النفس من عمق احساسها بما تصور .

١٥

ومن ظاهرات الشعر الحديث **« الملاحم »** ٤ ... حين اختفت المطولات او كادت، فقل ان تقع في الشعر الحديث على قصيدة ذات مئة بيت من قافية واحدة ولكنه يجنح الى المقطعات بحكم طابعه التصويري ... فالجلسة الشعرية أو الخطرة النفسية او الغرض الفني تستوعبه المقطوعة او اكثر ...

١٦

ويحاول الشعر الحديث ان **يتخلص من التعميم والمبالغة القديمة ليعبر تعبيراً نفسياً دقيقاً** . وقد نجح الشعر الحديث في الوصول الى اعماق من الفكر والشعور الصافي اذا تلمستها في الشعر القديم خايلتك وهي تومض لتختفي ... هذه السبحات التي اشير اليها في الشعر الحديث تتجلى في مثل قول الشاعر :

والذي يلمس الاله بجنبيه يشم الاله في كل شي
في ارتعاش الغصون في بسمة الطفل في آهة بقلب بغي
في صلاة النساك في حانة اللهو وفي دمعة البئيس الرضي
والسعيد السعيد من وجد الكون على قلبه الكبير النقي
والسعيد السعيد من عانق الصمت على قمة الخلود الفتي
حيث يلقى مظاهر الكون اصلاً واحداً جامعاً شتيت القصي
حيث يلقى الحياة تعتنق الموت فلا فرق بين ميت وحي ٥

١٧

ومن تأثير علم النفس على الشعر الحديث اصطناعه **للايحاء الشعري**. ومن شعراء الايحاء الدكتور ابراهيم ناجي والدكتور ابو شادي .

١٨

كما يصطنع الشعر الحديث **« العناوين »** للقصائد متأثراً بشعراء الغرب. واحياناً يقدم الشعراء قصائدهم بسطور تدل عليها كما كان يفعل الكتاب في اوروبا في القرن التاسع عشر. ومن عشاق هذا النهج الشاعر محمود حسن اسماعيل وان كانت هذه المقدمات لا تروق ناقداً كالدكتور مندور الذي يراها (قصاصات فيها ابتذال للنفس عنه نفرة) ٦ .

١٩

والشعر الحديث اكثر عمقاً ... كان الشاعر العربي القديم يصف الموقعة ... ادواتها ، سيرها ، عددها – بدايتها والنهاية ... ولا يتعمق الى ما وراء هذا في تسجيله ولكن الشعر الحديث ينفذ الى فلسفة الموقعة ودلالتها ودوافعها التاريخية والسياسية والنفسية .

لم يعد شعر الفاظ ورنين وصناعة ... بل اصبح مملوءاً بالتجارب التي عاشها اصحابها وعبروا عنها بعد انفعال بها .

٢٠

هذه هي الخصائص العامة للشعر الحديث .. اما الظاهرات الخاصة فبعضها يتصل بالموضوع والبعض الآخر بالاسلوب ...

اما الموضوع فمن الظاهرات الجديدة في موضوع الشعر العربي الحديث **الاحتفال بالطبيعة ...** لقد ازداد الشعر الحديث **قرباً** من الطبيعة واحساساً بها **وتجاوباً معها** وحاول الشعراء المحدثون النفاذ الى اسرارها المبثوثة في الكون، فما يكاد يخلو ديوان من التفاتة اليها اوصلة في محرابها. ففي (اين المفر)١ حديث عن النيل ، وصلاة العشب ، والزهرة اليتيمة ، وفي (اضواء ورسوم)٢ قصيدة « اشباح الليل » وفي (ازهار الذكرى)٣ غناء بالطبيعة فالفرفور والنهر والشجرة والظل والينبوع والقرية وزهرة المشمش صلوات مخلصة في المحراب الاخضر .

وفي (الجداول)٤ ذكر للسنبلة ، وابن الليل والغدير الطموح وفي (نجوم ورجوم)٥ لمحات من طبيعة الريف التي استهوت الشعراء المحدثين فوقف محمود حسن اسماعيل مستأنياً عند الشادوف والثور والسنبلة والنورج ٦. وهو في ديوانه (اغاني الكوخ) يتجه اتجاهاً مؤمناً الى الريف كوخه وساقيته والنيل والزهرة والسنبلة والغدير ... هنا شاعر تستهويه القرية الهاجعة في ظل القمر ...

لفها الليل ، فاسترخت من الأين على حصنه الرفيق المجني
وسدتها الاضواء من لحها الضا في وساد الطبيعة العبقري
وحبتها المهاد موجة نور اشرقت في ترابها القرمزي ٧

حتى قصائد الغزل في هذا الديوان من وحي الطبيعة، فالشاعر يمزج بين الحبيبة والطبيعة مزجاً تغنى فيه احداهما عن الاخرى فالشاعر يهتف بالحبيبة:

ان مات في المساء نور الضحى الرفاف
او مصت الانواء من زهره الافواف
فارسلي الاضواء من ثغرك الشفاف
تمزق الظلماء وتهتك الاسداف
وتفعم الاجواء بالنور والاطياف ٨

ويبدو ان الطبيعة علمته مزج الالوان فبدت انعكاساتها في قصيدته (سنبلة

١ ديوان اين المفر للشاعر محمود حسن اسماعيل
٢ ديوان اضواء ورسوم للشاعر عبد السلام رستم
٣ ديوان ازهار الذكرى للاستاذ السحرتي
٤ ديوان الجداول لايليا ابوماضي
٥ ديوان نجوم ورجوم للشاعر محمد السيد علي شحاته
٦ ديوان هكذا اغني للشاعر محمود حسن اسماعيل
٧ ديوان اغاني الكوخ للشاعر محمود حسن اسماعيل
٨ ديوان اغاني الكوخ للشاعر محمود حسن اسماعيل

١ كتاب «الزهاوي الشاعر» للاستاذ اسماعيل احمد ادهم ص ١٠
٢ مقدمة ديوان شظايا ورماد ص ١١
٣ ديوان اللحن الباكي، قصيدة مولد قصيدة او تخيلات شاعر ٨٠–٨٣
٤ اقرأ ملحمة (الطلاسم) بديوان (الجداول) لايليا ابو ماضي وملحمة (الاطلال) بديوان ليالي القاهرة للدكتور ابراهيم ناجي وملاحم محرم الاسلامية .
٥ ديوان (رياح وشموع) للشاعر كامل نشأت قصيدة (نبع وقطرات) ص ٥٣ .
٦ كتاب (في الميزان الجديد) للدكتور مندور ص ٧٢ .

تغني) ١ . حتى عود البرسيم الاخضر الذي يلهو به الصبيان خلف السوائم الراتعة في الحقول يستهوي الشاعر المفتون بالريف ويحفز شاعريته فيغني مع ابن الفلاح :

زمارتي في الحقول كم صدحت ... فكدت من فرحتي اطير بهـا
الجدي في مرتعي يراقصهـا ... والنحل في ربوتي يجاوبهـا
والضوء من نشوة بنغمتهـا ... قد مال في رأده يلاعبهـا
نفخت في نايهـا فطربني ... وراح في عزلتي يداعبهـا ٢

ومن المولعين بالطبيعة الشاعر فخري ابو السعود حتى ليعده النقد ممن اوقفوا فنهم عليها ، ٣ والتيجاني، حتى النجفي وجد من بؤسه سانحة يذكر فيها الفلاح والسواقي ٤ .

ومن المفتونات بالطبيعة فدوى طوقان وصفية ابو شادي .

٢١

ومن الظاهرات الجديدة في الشعر الحديث **نضوج الشعر الاجتماعي** الذي يمثل جانباً كبيراً من دواوينا ... لقد جاءت طبقة اخرى بمدمحرم والجندي لم ينهجوا النهج الكلاسيكي في التفكير والعرض والتناول بل اعطونا في روح جديدة تجارب عاشوها فيها صدق الواقع وحيرته ومرارته وقوة اقناعه ومن الامثلة البليغة في هذا المجال قصيدة الشاعر فؤاد بليبل (بين الكأس والوتر) ٥ .

ومن صور المجتمع كثير في شعر الصافي النجفي وان كان يميل الى الالوان القاتمة في تصويره .

اصبح الشعر الحديث يستمد مادته من صميم الحياة فالشاعر الحديث اصبح يستوقفه بائع الحصير ٦ وصباغ الاحذية ٧ والسائل القروي ٨ ...

٢٢

ومن الظاهرات الكبيرة في موضوع الشعر الحديث، ظاهرة **التنوع** فقد كثرت اغراضه وفنونه والوانه . عندنا اليوم شعر رمزي وشعر قصصي تضمه دواوين ناجي والرصافي وبشارة الخوري وعمر ابو ريشة وابراهيم العريض ، كما تسري روح القصة في ديوان الجداول ٩ لايليا ابو ماضي ، وشعر عقلي وهذا تطغى فيه الفكرة على العاطفة من شيوع العلم ونظرياته بحكم حضارتنا العلمية المادية كما حدث في الدولة العباسية عند ازدهار حركة الترجمة والعلوم وان كان هذا السبب نفسه يؤدي احياناً كثيرة الى نتيجة عكسية فيكثر الغناء العاطفي والشعراء الرومانطيقيون كرد فعل لثقل وطأة المادة وارهاقها .

كما ظهر الشعر الفلسفي بالمعنى العلمي لا التأملات والاراء الذاتية كما في

١ ديوان اغاني الكوخ للشاعر محمود حسن اسماعيل
٢ ديوان اغاني الكوخ ص ١٢٠
٣ كتاب اعلام من الشرق والغرب للاستاذ عبدالغني حسن ص ١٣٤ – ١٤٢
٤ ديوان الامواج للشاعر احمد الصافي النجفي
٥ ديوان اغاريد ربيع للشاعر فؤاد بليبل ص ٩٥ – ١٠٢
٦ ديوان التيار للشاعر احمد الصافي النجفي ص ١٣ – ١٤
٧ ديوان التيار للشاعر احمد الصافي النجفي ص ٢٠
٨ ديوان التيار للشاعر احمد الصافي النجفي ص ٧٦ – ٧٧
٩ اقرأ في ديوان الجداول قصيدة (هي) ١٠١ – ١٠٣ وقصيدة زهرة اقحوان ١١٧ – ١١٩

شعر ابي العلاء١ . ومن فرسان هذه الحلبة « الزهاوي » حتى ليخرجه الاستاذ اسماعيل ادهم من نطاق الشعراء ليسلكه بين الفلاسفة. كان الزهاوي يعتقد (ان رسالة الشعر الشعور ، ولكن عرف هذا الزهـاوي ككل مفكر بيد انه لم يحسه ولم يشعر به ، لانه ليست له روح الشاعر الاصيل . وقد تقع على بعض ابيات في قصائده ذات طاقة شعرية ولكن تجد شاعريتها غير عميقة اذ يمكن الوصول الى مصدرها في عتبة اللاشعور . ولا يجب ان يفهم من قولي ان التأمل او التفكير سبب تجريدنا الزهاوي من الشاعرية ، ولكن سر هذا ان تأملاته او تفكيره الذي يبدو في نظمه وقصيده ليس نتيجة لاحساسه وشعوره او ليس تناوله اياه تناولاً شعرياً... واذن يمكننا مطمئنين ان نقول ان الزهاوي اجمالاً ليس شاعراً بالمعنى الذي نعرفه من الشعر والشعراء ، فهل هو فيلسوف ؟

لا شك في ان الزهاوي كان فيلسوفاً يودع تأملاته نظيمه ويبث افكاره قصيده، وكان النظم اسلوبه في اداء المعاني التي تجيش بعقله ويفيض بها فكره٢

٢٣

ومن الالوان الجديدة في الشعر الحديث كالادب الحديث **« اللون المهجري »** تلك النغمات الحارة التي يهمس بها صاحبها فتحس صوته خارجاً من اعماق نفسه كما يقول الدكتور مندور ٣ .

اريد ان اقول ان شعرنا العربي قد نزع من انفه (الخزامة) ٤.

لقد عاب الاستاذ العقاد في مطلع هذا القرن على شعرائنا تكررهم وغفلتهم عن اسرار الانسان ٥ .. فهل تحقق امله في ان يرى بين شعرائنا (هذا المفتون بالبحر وذلك الموكل بمنطق الطير وذلك المشغول بالسماء واولئك الذين يجيدون وصف السرائر او يجيدون وصف المناظر الانسانية او المناظر الطبيعة او مشاهد القرون الوسطى او الذين لكل منهم علامة وعنوان ولكل منهم شاعرية مميزة تعرفها وتعرف سواها فتعجب لسعة الحياة وارتفاع افاقها وعمق اغوارها وتعجب لما في (النفس) من شعب لا نهاية لها وغرائب لا يحدها الوصف ولا يعتريها النفاد) ٦

٢٤

اما خصائص الاسلوب في الشعر الحديث فاظهرها « التجسيم » وهو حسن لانه يبثه الحياة في الجماد وخلع صفاتها على النبات والحيوان يكسب الشعر حيوية ونبضاً، ولكن الشعراء المحدثين لاسيما اللبنانيين قد استهوتهم مثل هذه الالفاظ : الصدى الباكي٧ ، الفجر الطري٨ ، والشعراء المحدثون – وهم مولعون بصيغة اسم الفاعل – استهوتهم هذه الالفاظ الى حد الفتنة فساق لنا محمود حسن اسماعيل حشداً منها في ديوانه (اين المفر) كالضوء الذبيح ٩

١ اقرأ فصل (شعر الزهاوي) في كتاب الزهاوي الشاعر للاستاذ اسماعيل ادهم
٢ كتاب الزهاوي الشاعر للاستاذ اسماعيل احمد ادهم ص ٥٣ – ٥٤
٣ كتاب (في الميزان الجديد) الادب المهموس ص ٤٨
٤ يقول الاستاذ مارون عبود في كتابه (على المحك) « ان معظم شعرنا العربي لا تزال في انفه الخزامة وفي حنجرته هدير الفحول وفي رجله خلاخيل تخشخش » ص ٢٨ – ٢٩
٥ كتاب ساعات بين الكتب للاستاذ العقاد ص ١١٤ – ١١٥
٦ كتاب ساعات بين الكتب للاستاذ العقاد ص ١١٤
٧ ديوان وحدي مع الايام لفدوى طوقان ص ٦٦ ٨ ص ١٣
٩ ص ١٩ .

١٠١

النور الخمري ١ الظلمة السكرى ٢ ، الفجر المتيم النور ٣ ، الانغمام الرعاشة الشدو ٤ ...ومثل هذا نجده عند الشاعر كمال نشأت ففي ديوانه « رياح وشموع » الضوء الرهيف ٥ ، الضياء المقرور ٦ ، المساء الرهيف ٧ ، الهناء المرتعش ٨ .. تلك الالفاظ المتطرفة التي يسميها الاستاذ الياس ابو شبكة الالفاظ الجبرانية ٩ او (الكليشيهات اللفظية) كما يدعوها في موضع آخر ١٠ ... وهي عند الاستاذ (مارون عبود) صور مائعة مبنية على المجاز العقلي ١١ .

ولكن الشعراء المحدثين الى جانب هذا لديهم الفاظ قيمة هي مع سهولتها اوفر شاعرية .. اصغ معي الى حديث الفراشة يستخفك من خفته وبهجته على بساطته :

البرعم الشفقي ينعس في ظلال خميلة
والعطر يلعب في الفضاء محلقاً في بهجة
والنور فوق النرجس الغفوان حلو الهمسة
متلألىء يفتر ضحاكاً على اغرودتي
والنسمة الحسناء تمرح في فتون الطفلة
وحفيف اجنحتي الملونة الالطاف تحيتي
وانا احوم فوق انداء الصباح السمحة ١٢

وهناك الفاظ عند الشعراء المحدثين لها قوة كامنة وطاقة كبيرة . الفاظ ذات تاريخ تعرضه في سرعة وايجاز ...

يقول الشاعر :

فتهاويت في خشوعي للارض وفي مقلتي دمع ذنوبي
وتلبثت في سجو اصلي وصلاتي في دمعي المسكوب
وانا مطرق اسر الى الام شكاتي ولوعتي ولغوبي ١٣

فلفظة الام في تفردها التعبيري وفي رمزها وفي موضوعها من القطعة وفي استغنائها عن التفصيل والشرح ، غنية غنى وافراً بالمعنى والرمز والايحاء والتعليل والتفصيل ..

حقاً اننا من الارض واليها نعود

ومن النقاد من يرون للشعر الحديث حسنات اخرى .. فالاستاذ انور المعداوي يهتف (حسبنا ان نقول ان الشعراء المحدثين قد خطوا بفهمهم لاصول الفن الشعري خطوات جديدة ووثبوا بالاداء النفسي وثبات اقل ما يقال فيها انها ردت للالفاظ قيمها التعبيرية حين ردتها الى محاريبها النفسية فغدت وهي صلوات شعور ووجدان) ١٤

ويقول الاستاذ مارون عبود (ان جوهر الشعر العربي القديم لايتعدى المحسوسات على حين ان ما يرى هو رمز ، عند الشعراء الى ما لا يرى . فالحدود التي تفصل الدنيا المادية عن الدنيا المعنوية ليست عندهم ، فاعينهم تدرك العلاقات البعيدة التي تربط الاشياء ببعضها وتوجلنا في اعماق جمالها الجذاب .

١ ديوان وحدي مع الايام لفدوى طوقان ص ١٠٠
٢ ص ١٣٠ . ٣ ص ١٥٧ . ٤ ص ٦٣ .
٥ ص ٣٣ . ٦ ص ٣٨ . ٧ ص ٤٠ . ٨ ص ٤٣
٩ كتاب روابط الفكر والروح للاستاذ الياس ابوشبكة ص ١٠٤
١٠ ص ١٣٢
١١ كتاب مجددون ومجترون للاستاذ مارون عبود ص ١٧٨
١٢ ديوان (رياح وشموع) لكمال نشأت ص ٣٠
١٣ ديوان (رياح وشموع) لكمال نشأت ص ٦١
١٤ كتاب (نماذج فنية) للاستاذ انور المعداوي ص ٣٢

فالكلام يتجسد متى نفخت فيه الروح الملهمة الخالقة حياة . والتجسد الشعري هو الشعر كله . وهذا ما يحاول ان يخلقه شعراء اليوم في ادبنا العربي ، فالشاعر هو من يرى الاشياء اشياء غيرها) ١ .

٢٥

هناك ظاهرة اخرى تتمثل في ميل الشعر الحديث الى **جعل المطلع هو الختام** في بعض قصائده كقصيدة مصر ٢ ، الفجر الجديد ٣ ، اخوة الفن ٤ ، حنين الى الشاطىء ٥ ، الوكر الدامي ٦ .

ولكني هنا اريد ان اسجل كلمة عدل من واجب الدراسة ان تقولها عند المقارنة بين القديم والحديث او القدماء والمحدثين ... هذه الكلمة هي ان الالوان الجديدة والاتجاهات الجديدة والموضوعات الجديدة والاساليب الجديدة وكل جديد في الشعر الحديث زاده عن الشعر القديم لم يكن من عمل الشعراء المحدثين وحدهم لترجح به كفتهم على القدماء ولكن الخصائص الجديدة التي عرضت لها ترجع في كثير من عوامل ظهورها الى روح العصر الذي نعيش فيه وطابعه وقيمه ونوع حضارته فان التاريخ يعلمنا كما يقول الاستاذ علي ادهم (... ان مقداراً كبيراً من قوة الشاعر مرده الى عصره وان شيئاً كثيراً كذلك من ضعفه مرجعه الى عصره ، ولا بد لتكوين شاعر كبير مكتمل النواحي ناضج الشاعرية من قوتين ، قوة العصر وقوة العبقرية ، فاذا اقبل الى الدنيا شاعر كبير في عصر لم تكن الحياة الفكرية فيه جارية متدفقة مزدهرة نامية جاء الكثير من شعره رثاً مملولاً ساذجاً محصوراً مهما كان فيه من قوة العبقرية وصدق الشاعرية ، واذا التأمت القوتان وتعاصرتا فهناك يظهر الشاعر الكبير ، ولذا يأتي كبار الشعراء في ازمنة النضج الفكري وثورة الاراء وازدحام الافكار واحتفال الخواطر) ٧

٢٦

كما يعزى سبق الشعر الحديث الى اتصاله بالشعر الغربي فالاستاذ اسماعيل احمد ادهم في كتابه (الزهاوي الشاعر) يعزو ظهور المدرسة الرومانتيقية العربية الى الاتصال بفكر اوروبا . والى اوروبا يعزو الجدة في ادب المهجر الذي يراه و(ليس فيه من العربية الا الاسم وهو في قوامه وهيكله غربي الروح اوروبي الاخيلة) ٨

كما يرى الاستاذ الياس ابو شبكة ان الادب العربي قد (تأثر في مجموعه بالاحداث الفكرية التي نفخت فرنسا في بوقها) ٩ وكتابه روابط الفكر والروح يدور كله حول هذه النظرية التي يسوق بين يديها احداث التاريخ الفرنسي والتيارات الادبية في فرنسا كلما خاض في شأن من شئون الادب العربي .

ولكني ارى الادب العربي قد اثرت فيه عوامل شتى منها عامل الاتصال بالاداب الاخرى لا الادب الفرنسي وحده فان بين شعرائنا وكتابنا خاصة من يجيدون اللغة اللاتينية واللغة الايطالية واللغة الانجليزية واللغة الفارسية

١ كتاب (مجددون مجترون) للاستاذ مارون عبود ص ٧٥
٢ ديوان (وحدي مع الايام) لفدوى طوقان ص ٩٣ – ٩٦ .
٣ ديوان (اصرار) لكمال عبد الحليم ص ٩ – ١٠ ، ٤ ص ١١ – ١٦
٥ ديوان (رياح وشموع) لكمال نشأت ص ٥٦ – ٥٧ ، ٦ ص ٥٨ – ٥٩
٧ كتاب (على هامش الادب والنقد) للاستاذ علي ادهم ص ١٤٦ .
٨ كتاب (الزهاوي الشاعر) للاستاذ اسماعيل احمد ادهم ص ١٥
٩ كتاب (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة) للاستاذ الياس ابوشبكة ص ١٣٦

وعن طريق هؤلاء اتصل ادب العرب بآداب هذه اللغات وتطعمها وخاصة الانجليزية .

والتأثير الادبي كما يقول الاستاذ انطون غطاس كرم١ (مبهم وادق من ان ينحصر في تاريخ معين واوسع من ان يقيد في اسباب)

والتأثير الغربي يضم ظاهرة اخرى الى الظاهرات التي ذكرناها هي محاولة بعض الشعراء المحدثين ترجمة قصائد بعينها من اللغات الاخرى . ففي ديوان (اصرار) ترجمة لقصيدة (الجماهير) للشاعر ثيروسيزارفا للبجو٢

وفي ديوان (اضواء ورسوم) ترجمة لقصيدة (اضحكوا وامرحوا) للشاعر الانجليزي (جون ماسفيلد)٣

واعجب اخرون منا باسلوب التعبير في الادب الغربي فهذه نازك تقرر ان الاسلوب الطريف في تقفية قصيدتها (الجرح الغاضب) مقتبس مباشرة عن الشاعر الامريكي ادجار الان بو في قصيدته البديعة Ulalume . ٤

٢٧

على ان هذا كله لم يحل بين الشعر الحديث – او بعضه – وبين **التشبث بمظاهر** من الشعر القديم فبين الشعراء المحدثين من استهل بالغزل في موضوع اشادة بالبطولة٥ وفي الشعر الحديث مدائح وتهنئات سبق ان اشرنا اليها وفيه شعر مناسبات٦ وشعر حزبي٧ وفي الشعر الحديث دواوين كاملة هي امتداد للمدرسة الكلاسيكية٨ ..

ولا غرابة في هذا فالتجديد في الشعر العربي الحديث يمر بمرحلة انتقال يصاحبها ما يلازم مراحل الانتقال في كل شيء ... ومن ثم كان التجديد في الشعر العربي الحديث يحفه القلق والتهيب من ناحية ، والجموح من ناحية اخرى ... يمثل التهيب تأرجح الشباب بين التقليد والتجديد ... ويمثل الجموح كفران البعض بالقافية والوزن وارسالهم الشعر عاطلاً من كل مميزاته التقليدية... كما يمثل القلق والتهيب تقديم الشعراء المحدثين دواوينهم بمقدمات طويلة يدافعون فيها عن مذاهبهم٩ كأنهم يتوقعون الهجوم من يقينهم ان الامر ليس خالصاً لهم وان المحافظين لم ينقرضوا بعد .. وهم متربصون ..

ويعكس هذا كله ظله على نفوس قائليه فيبثون شعرهم شكواهم من حيرة وقلق١٠ وغربة في زمانهم كما يعتقدون .

٢٨

ولعل من آثار هذا ايضاً **كثرة الدراسات اليوم حول الادب الحديث شعره ونثره** فتتناقض الاراء حيناً ، وتقارب وتعتدل وتشط حيناً آخر... وطبيعي منها هذا فتنوع الثقافات ينجم عنه تنوع الآراء، وتعدد مذاهب العيش يتولد عنه اختلاف وجهات النظر ، وقيام الحروب يتبعه تغير في القيم والمقاييس ... وجيلنا يمثل ريشة في مهاب ريح مختلفة فهو تتوزعه عوامل كثيرة ، وتتجاذبه دوافع شتى. وبين هذا وذاك يميل الميزان مرة هنا ومرة هناك .

فبينما نرى شاعراً كمحمود حسن اسماعيل يتحمس للشعر العربي حتى ليري النفر الذي حاد عن طريقه قد (عادوا بنظم مرقع يشوبه هوس الخيال المطروق واللحن المسروق وتعذيب الالفاظ يحشرها في غير اجسادها النفسية بلا بث من الشعور ولا افضاء من الروح فشطت بهم خيبة المصير وعاقبتهم الطبيعة بالاهمال والضياع ، وحاقت بهم لعنتها على التكرر والمتابعة والتقليد ، ولو في طريق جديد)١

اذ بالدكتور لويس عوض يدمدم على الشعر العربي فينعى عليه لغته الفصيحة ، وطول قصائده ، واوزانه ، وبحوره ، وعموده ، وخلوه من من البالاد ومن مثل قصص ولترسكوت الذي تأثر به .

رمى الدكتور الناقد شعرنا بالجمود والاسن فكان طبيعياً ان يقدم له قصته (بلوتلاند)« التقدمية ! » ليخلق على حد تعبيره (دوامة صغيرة من دوامات الفكر وسط هذا الاسن الازلي)٢

وعنده انه(ما من بلد حي الا وشبت فيه ثورة ادبية شعبية هدفها تحطيم لغة السادة المقدسة واقرار لغة الشعب (العامية) او(الدارجة) او(المنحطة)٣

ثم لا تكاد تبدأ قصته (التقدمية) حتى ترى حشداً من الالفاظ المقدسة التي تثير غضبه ... يتألف هذا الحشد من (عصا التسيار ، ابلق ، الظلمة السحماء ، كميت ، شارفوا ، كثب ، مجافى ، الافياء ... الخ)

ولكن اللغة التي تخنقه تسيطر عليه في سائر قصائده المهلهل منها والهجين ... انها هي...

٢٩

هل قلت كل شيء في الموضوع؟ كلا... ان بحثي كله يتناول فترة حدودها العشرين السنة الاخيرة فحسب ... وقبل هذا التاريخ مصادر ومراجع لها قيمتها واهميتها...ومع هذا نحيتها جانباً لانها خارج الدائرة التي رسمتها البحثي...

وهناك خصائص لم اتوسع في درسها مع اتصالها ببحثي بل اكتفيت عندها باللمحة تشير ولا تحيط ... (فالعامية مثلاً والشعر الحديث) لا توفى كجزء من موضوع فهي بظروفها تنهض وحدها موضوعاً كاملاً خليقاً بالبحث المفرد..

هناك هناك أماني للشعر الحديث ... ومطالبي عنده ...

اني اومن في قرارة نفسي ان هناك درراً كثيرة لم يترسل ضوؤها الى بحثي هذا لعوامل عدة ... فبعدها منا ، او احتجابها عنا لظروف من صنع بيئتها الخاصة ، او قبوعها في الاصداف او مرورها بدور الجيشان والاختزان الذي يليه الانبجاس ثم التدفق والذيوع كلها حوائل... هناك مسائل كثيرة لم يحط بها بحثي هذا وان كنت الى الاحاطة جد تواقة وفيها راغبة ... فالى الغد ؟ ... باذن الله .

القاهرة

نعمات احمد فؤاد
ماجستير في الاداب

١ كتاب (الرمزية والادب العربي الحديث) للاستاذ انطون غطاس كرم ص ١١٥
٢ ديوان (اصرار) لكمال عبد الحليم ص ٥٢
٣ ديوان (اضواء ورسوم) لعبد السلام رستم ص ٤٣
٤ مقدمة ديوان (شظايا ورماد) لنازك الملائكة ص ٥١
٥ ديوان (الاعاصير) للشاعر القروي ص ١١٥
٦ اقرأ ديوان (الحان الخلود) للدكتور زكي مبارك وديوان (قال الشاعر) للشاعر احمد فتحي
٧ ديوان عزيز للشاعر عزيز فهمي
٨ اقرأ ديوان (الحان الاصيل) للشاعر علي الجندي
٩ اقرأ مقدمة ديوان (رياح وشموع) لكمال نشأت
١٠ اقرأ مقدمة ديوان (اين المفر) لمحمود حسن اسماعيل ص ١٠ – ٦٥

١ من مقدمة ديوان (اين المفر) للشاعر محمود اسماعيل
٢ كتاب (بلوتلاند وقصص اخرى) للدكتور لويس عوض ص ٢٣
٣ كتاب (بلوتلاند وقصص اخرى) للدكتور لويس عوض

١٠٣